قبل أن تقرأ هذا الكتاب

- ١ -

مَـــنْ أنـــا(*)؟!

لَمَّا كان الغرض من الديانات هو التواصل بين الله ﷻ وبين سيد مخلوقاته، وهو الإنسان، كان طبيعيًّا أن **يخبرنا الله ﷻ بحقيقتنا وبالعلة من وجودنا** فى بدايات آخر كتبه السماوية؛ لذلك جاء فى **أوائل سورة البقرة:**

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

عَرَفْتُ من الآية أنى خليفة من الله ﷻ فى الأرض...

وعَرَفْتُ أن الملائكة قد تطلعت إلى تلك المنزلة...

وعَرَفْتُ أن الملائكة قد اعتقدت ـ خطأً ـ أن التسبيح والتقديس هما مبرر الاستخلاف...

ثم يبين الحق ﷻ مسوغات الاستخلاف: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

بذلك أَخبر الله ﷻ ملائكته **أن مسوغات الخلافة هى العلم والمعرفة...**

(*) هذا الجزء بعنوان (من أنا؟!) من وحى كتاب: الدين والعلم وقصور الفكر البشرى، للدكتور مهندس محمد الحسينى إسماعيل، عام ١٩٩٩ ـ مكتبة وهبة.

ثم يوضح الله ﷻ للإنسان حقيقة وجودية باقية ما دامت السموات والأرض: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

أَسْجَدَ الله ﷻ الملائكة لآدم **لِما يتميز به من علم ومعرفة...**

من ثَمَّ، يصبح **التسبيح والتقديس تابِعَين للعلم والمعرفة... يا الله...**

ولكن...

هل العلم وحده كاف لإنقاذنا؟... تظهر الإجابة عن هذا السؤال فى قول الله ﷻ:

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [البقرة].

لا... ليس العلم وحده كاف لإنقاذنا

فآدم تَعَلَّمَ الأسماء كلها ورسب فى أول امتحان للذات...

لماذا؟

لم يذكر لنا القرآن الكريم مقاومة من آدم لإبليس...

كان آدم على الفطرة... كان لا يزال فى ساحة البراءة...

كان آدم عالِمًا... ولم يك كاملًا ...

فالاكتمال يتطلب الإنضاج بنار الاحتكاك بالآخرين...

إن الذين يعتزلون العالم ليسوا بكاملين... لم تنضج ذواتُهم...

كان **إبليس** جزءًا ضروريًّا من القصة... فهو يخدمنا ...

الشر الذى نهزمه يخدمنا... إنه نضجٌ وإثراءٌ واكتمال...

يُرَقينا حتى نصل إلى سدرة منتهانا...

ذاق الإنسان الشجرة المحظورة... واستطابها...

وما زال يحوم حولها... تارة يجاهدها... وتارة يستلذها...

لم يكن خروج آدم من الجنة عقوبة نتحمل توابعها...

فنحن لم نذق طعم الجنة... لم نُعانِ استشعار الفرق...

الإسلام لا يعترف بالخطيئة الأصلية...

ما حدث لأبوينا كان تمهيدًا لبداية قصتنا...

التى هى **فرصةٌ وتحد...**

ثم يبين الله ﷻ لنا **الحكمة من المعرفة** ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة].

تفجرت العبادة من ينبوع المعرفة والمعاناة والتجربة...

لم تولد المعرفة من رحم العبادة...

ليست المعرفة فضيلة أو ضرورة ... إنها استكمال للإنسانية...

نشأ آدمُ فى الجنة... فى المجرد... بذلك تتساقط نظريات تشكيل الإنسان بالتاريخ، أو الاقتصاد، أو التنشئة، أو العُرف...

صار آدم بنفخة الروح خلقًا آخر... ذو تطلعات غيبية سماوية...

سجود الملائكة تكريم وتشريف... واستثنائية إزاء الكون كله... ارتقى الإنسان حتى تجاوز المَلَك... ليس فى القرآن آية تقول إن الملائكة تؤمن ... فالإيمان خصيصة إنسانية... تحمل معنى البحث والاستدلال والتجريب والترقى... انظر قصة تفرس إبراهيم ﷺ فى السماء... انظر قصة طلبه من الله ﷻ أن يريه كيف يُحيى الموتى...

أكرم تعريف للإنسان أنه **الكائن المتسائل الباحث عن الله** ﷻ ...

حتى وإن عَبَدَ حجرًا...

كائن يتردد بين نقيضين... أسفل سافلين... وذُرا الأنبياء والصالحين ...

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس].

أنا كائن حُرٌ مختار...

قال تعالى: «إنا عَرَضْنَا الأمانة...»

ولم يقل: إن حَمَّلْنَا الأمانة

سُئِلَ عبد الله بن المبارك: لو قيل لك هذه آخر ساعة من عمرك، ما أنت فاعل فيها؟! قال: أطلب فيها العلم...

من هذا المنهل رضعت إدراكى بذاتى...

وعلى هذا فُطمت...

- ٢ -

كم ضللونى عن ذاتى الإنسانية...

من نكد الدنيا على الإنسان المعاصر أن صار يحيا فى ظل **حضارة مادية بحتة**، جعلت منه **مسخًا مشوهًا وسجنته فى إطار حيوانى ثلاثى:**

منتج: كما تنتج الأبقار اللبن.

مستهلك: كآكلات الرِمَم.

مستمتع: أشد شَبَقًا وشراهة من كل حيوانات الأرض.

وفى ظل هذه الحضارة، صار «**توازن الرعب**» هو الرادع لنا عن الاعتداء على الآخرين (على المستوى الشخصى ومستوى الدول)، وليس القيم والأخلاق والدين.

كم أهانونى ووصفونى بالأعاجيب...

وصفنى الفيلسوف أفلاطون بأنى ... حيوان سياسى.

وصفنى الفيلسوف أرسطو بأنى... حيوان اجتماعى.

وصفنى الفيلسوف ماركس بأنى... حيوان اقتصادى.

وصفنى الفيلسوف سان سيمون بأنى... حيوان مُصَنِّع.

وصفنى فيلسوف العدمية ديفيد هيوم بأنى... حيوان منحط.

وصفنى فرويد بأنى... حيوان شهوانى.

اجْتَثَّ دارون جذورى السماوية... وأرجع نشأتى إلى الصدفة والعشوائية.

وُوصِفْت أيضًا بأنى: حيوان ناطق... حيوان ضاحك... حيوان تليفزيونى...

والقائمة تصيبنى بالصداع والدوار، وتنزعنى من إنسانيتى، **وتَسِمُنى بالحيوانية**، وبما هو أدنى.

حتى إن (جون واطسن) مؤسس علم النفس السلوكى، لا يُسَوِّغ الحديث عن علم نفس إنسانى وآخر حيوانى، بل يعتبر أن الفرق بين سلوكيهما **فرقًا كميًّا وليس كيفيًّا**، ومن ثَمَّ يَدْعو إلى علم نفس واحد يندرج ضمن العلوم الطبيعية.

كم مزقونى بين المتناقضات ...

يرى فيلسوف المادية جون لوك أن الإنسان لا يتمتع بفطرة أخلاقية، لكن المجتمع هو الذى يشكل له ضميره!. وسار على دربه دوركايم، إذ رأى أن الإنسان إناء يملأه المجتمع، أى **أن الأخلاق والضمير والدين «نبت اجتماعى»**.

ويرى آخرون (مثل آدم سميث) أن آلة الإنتاج هى التى تُشَكِّل الإنسان، أى أن «**الأصالة للاقتصاد**». بينما رأى خصمه ماركس أن الأصل هو «**جدلية التاريخ**»، أى الصراع!

وإذا كان نيتشه يَدَّعى أن الإله والدين من «**إبداع الضعفاء**» ليُصَبِّراهم على بَلْواهم، وليستجْدوا الأغنياء باسم السماء، فإن ماركس يدعى أن الإله والدين من «**إبداع الأقوياء**» ليسيطروا به على الضعفاء، ويُهَوِّنوا عليهم واقعهم المرير!

وهذا آدم سميث يوافقنا على أن الإنسان «خَيِّرٌ بطبعه»، بينما يرى مان فيلد أن «**الشر هو الأساس**»، ولو اختفى الشر لتساقطت المجتمعات!

هل رأيت ـ قارئى الكريم ـ التناقض الصارخ بين نظرة رضعتُها وفُطمت عليها (عرضتها تحت عنوان: مَن أنا ؟!)، نظرة سَمْت بالإنسان إلى ذُرا السمو، وبين نظرة مادية مطلقة هوت به إلى أسفل سافلين.

ألا ترى أن الإنسان فى حاجة إلى رد اعتبار...

من أجل ذلك جاء هذا الكتاب.

ـ ٣ ـ

من عَرِفَ نفسه عَرِفَ ربه

حدثتك فيما سبق عن بعض **صفات وسمات ذاتى الإنسانية**، وسأحدثك عن الكثير منها عبر فصول الكتاب. وإذا كان العنوان الفرعى للكتاب «**من عَرِفَ نفسه عَرِفَ رَبَّه**» ـ الأرجح أنه لحكيم العرب يحيى بن معاذ ـ فإننى أطمع أن تُقَرِبُنا هذه الدراسة من فهم بعض أسماء وصفات ربنا ﷻ. فالغاية الأولى من هذه الدراسة **المزيد من التعرف على الذات الإنسانية من أجل المزيد من التعرف على الله** ﷻ، فهو الغاية الأولى من الخلق [١].

ويرى الشُّرَاح لهذا القول معانٍ شتى، منها **أن الأمور تُعرَف بأضدادها**. فمن عَرِفَ ضَعفَ نفسه عرف ربَه بقوته، ومن عرف عَجْزَ نفسه عرف ربَه بقدرته، ومن عرف فَقْرَ نفسه عرف ربَه بغناه، ومن عرف جَهْلَ نفسه عرف ربَه بعلمه... ومن ثَمَّ، إذا عرفنا أنفسنا بكل ما فيها من نقائص ومحدودية، عرفنا بعض ما عليه ربنا من كمالات وإطلاق. وفى ذلك يقول ابن عطاء الله السكندرى فى حِكَمِه: **تحقق بأوصافك يَمُدُّك بأوصافه، وتحقق بذُلِّك يَمُدُّك بعزته، وتحقق بعجزك يَمُدُّك بقدرته، وتحقق بضعفك يَمُدُّك بحوله وقوته**.

ويرى آخرون، **أن الله** ﷻ **قد أعطى الإنسان شيئًا من صفاته**؛ فأعطاه من علمه، وحلمه، وغناه، وقدرته، وإرادته، وصبره... مع الأخذ فى الاعتبار أن هذه الصفات فى حق الله ﷻ ذاتية، كاملة، مطلقة، أما فى حق الإنسان فهى مُعَارة ناقصة محدودة كمًّا وكيفًا.

وقد كان منح اللهُ ﷻ الإنسانَ شيئًا من صفاته أمرًا ضروريًّا، **حتى تتحقق معرفة الإنسان بربه**، وهى الغاية القصوى من الخلق. ذلك أن إدراكنا لمعانى أسماء الله ﷻ وصفاته لا يكون إلا **إذا مارسنا وتذوقنا هذه الأسماء والصفات**. فكيف ندرك معنى اسم الله «الحليم» ما لم نكن قد مارسنا الحلم، وكيف ندرك معنى اسمه ﷻ «المريد» ما لم نمارس حرية الإرادة، وكيف ندرك معنى اسمه «الرحمن» ما لم نمارس الرحمة. لذلك جاء فى الحديث الصحيح: من لا يَرْحَمُ لا يُرحَمُ [٢]، أى إذا أردنا أن نُعَامَل بصفة الله ﷻ (الرحمن الرحيم) علينا أن نتخلق بالرحمة.

---

(١) فى تفسير عبد الله بن عباس لقول الحق ﷻ ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات] أن معنى «**ليعبدون**» هو «**ليعرفون**».

(٢) رواه البخارى.

كذلك كان حصول الإنسان على بعض من صفات الله ﷻ **أمر ضرورى للقيام بواجبات الاستخلاف فى الأرض**، فكيف يقوم جاهل عاجز مسلوب الإرادة بحق الخلافة من الله، أليس من الحتمى أن يكون للمستخلَف بعض صلاحيات من استخلفه؟ من ذلك نفهم لماذا جعل الله ﷻ تسيير شئون الكون من خلال قوانين وضعها وألزم مخلوقاته بالخضوع لها، وقام فى نفس الوقت **بكشف هذه القوانين للإنسان** تدريجيًّا حتى يتسنى له استغلالها فى التعامل مع الطبيعة.

لذلك أسأل مَن يقرأون قول الحق ﷻ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس]، ويفهمون **أن المقصود من «كن فيكون»** الامتثال المباشر «الآنى» خارج إطار الأسباب، أسألهم، وكيف يتسنى للإنسان أن يكون خليفة فى أرض تُدار بكلمة «كن»، فى حين أنه لا يملك سر تفعيلها!!. **إن استجابة الوجود للأمر «كن» يكون من خلال السنن والقوانين**. فإذا كنا أنا وأنت قد خُلقنا بكلمة كن فقد تطلب ذلك بقاءنا فى الأرحام فترة تسعة أشهر كاملة.

هذا وسنلاحظ مما ذكرنا فى بداية المقدمة، ثم سنتولى توضيحه (قدر المستطاع) عبر فصول الكتاب، **أن إدراك حقيقة الذات الإنسانية أمر بعيد المنال**، وأننا عاجزون عن ذلك بالرغم من كل ما أوتينا من علم وفلسفة، **فما بال أقوام يتباحثون فى الذات الإلهية ويسعون لإدراك حقيقتها، ويتخذون عن العجز عن ذلك مبررًا للإلحاد بالوجود الإلهى**. وقد أعجبنى فى الرد على هؤلاء بيتين من الشعر الصوفى حفظتهما فى صباى، يقول فيهما أبو عبد الله الجَلَّاء:

كَيفِيَّةُ المـرءِ ليس يُدرِكُهـا ... فكيـف كيفيـة الجبارِ فـى القِـدَمِ!

هو الذى أحدثَ الأشياءَ مبتَدِعًا ... فكيف يُدركُه مستحدَث النَسَمِ!

سبحان الله ﷻ

الذى ليس كمثله شىء.

- ٤ -

حَوْلَ الكتاب الذى بين يديك

تخيل **كائنًا فضائيًّا هبط (وليكن من كوكب المريخ) إلى كوكبنا الأرض**، وكان هبوطه ليلًا، الأرجح أنه سيختار إحدى المدن مكانًا لهبوطه، فهى مليئة بالأنوار. ربما كان أول ما سيلفت

نظر جارنا المريخى هو **غزارة تواجد الكائن الأرضى فى كوكبنا**، فالمدينة المزدحمة ستشعره بأننا أكثر الكائنات تواجدًا فيه.

ولاهتماماته السياحية المتأصلة ـ وهذا ما جاء به إلى الأرض ـ **قام الكائن المريخى بعدة جولات فى المدينة وما حولها**، فلاحظ ظاهرة سلوكية إنسانية غريبة، وهى **تعدد نشاطات الإنسان واهتماماته وهيئاته**. رأى بعض الناس فى المكتبات والمدارس منكبين على كتب يقرأون فيها ويدرسون، ورأى بعضَنا يَجْرى وراء جسم صغير كروى الشكل يركلونه بأقدامهم وآخرين متحلقين حولهم يصفقون لهم ويهللون. ورأى أقوامًا من الرجال والنساء أشباه عرايا يرقدون فوق الرمال ليصطلوا بأشعة الشمس ثم يجرون إلى البحر ليلقوا بأنفسهم فيه، وفى الوقت نفسه رأى آخرين (رجالًا ونساء أيضًا) يتسربلون بالملابس من قمم رؤوسهم إلى أخامص أقدامهم. ورأى فى بنايات نظيفة هادئة أقوامًا مُصْطَفِّين فى صفوف يرفعون أياديهم ويركعون ويسجدون ويبتهلون. وفى مدينة مجاورة رأى أقوامًا يتصارعون بالأيدى وبنصال لامعة، وقد يوجه بعضُهم آلات حديدية تجاه آخرين فيسقطون قتلى... رأى.. ورأى.. **ورأى من الأشياء العجيبة ما أثار اندهاشه من هذا الكائن الأرضى**.

أراد الكائن المريخى أن يتوصل إلى حقيقة جاره الأرضى، فبحث عمن يسأل، فدلوه على مكان شاسع ملىء بالبنايات التى تفصل بينها مساحات خضراء، ويطلقون عليه اسم «**الجامعة**»، وأخبروه أن بها الكثير من **العلماء المتخصصين فى شأن «الإنسان»**. قضى الزائر أيامًا عديدة فى مكاتب الجامعة، يستمع إلى ما يطرحه عليه الأساتذة المتمرسون العالِمون بالإنسان، **وخرج من هذه الزيارات أكثر حيرة من ذى قبل!**. فهذا الخبير أخبره أن الإنسان عبارة عن دوائر كهربائية كتلك التى تضىء فى سقف الغرفة وربما فى مركبته الفضائية. وهذا أخبره أن الإنسان عبارة عن تفاعلات كيميائية، بل إنه مزج أمامه كميتين ضئيلتين من سائلين فتفاعلا وخرجت منهما أبخره ساخنة، وقال له الأمرُ هكذا!. وفهم من آخر أن الإنسان إنما هو سليل لتلك الحيوانات التى رآها تقفز بين الأشجار فى حديقة الحيوان، بينما أكد له غيره أن الإنسان كائن متفرد مُتَسام وأنه خليفة فى الأرض من الإله خالق هذا الكون وخالق كوكبه المريخ.

تحدث ضيفُنا فى الجامعة مع هؤلاء العلماء المتخصصين فى الفيزياء، ثم الكيمياء، ثم البيولوجيا، ثم الشريعة الإسلامية. بل وتحدث إلى آخرين قدموهم إليه باعتبارهم أساتذة فى الفلسفة وفى علم النفس وفى علم الاجتماع، وفى .. وفى.. فأسمعوه كلامًا لا يقل غرابة وتباينًا

عما سمعه من السابقين، فازدادت حيرته بخصوص هذا الكائن الإنسانى شديد التعقيد، **وقرر أن يوجه جهوده الرامية للتواصل مع الحضارات الكونية إلى كوكب آخر، فربما عثر فيه على كائنات أكثر انسجامًا وأكثر تناغمًا وأكثر بساطة وقابلية للفهم.**

جال بخاطرى هذا السيناريو التخيلى بينما كنت أتابع إحدى جلسات **المؤتمر الحادى عشر لشركة الإبداع الأسرية بالكويت**، والذى انعقد فى شهر يناير من عام ٢٠١٢، وكنت قد دُعيت للمشاركة فى فعالياته بإلقاء محاضرتين لاقتا قبولًا حسنًا. كان عنوان المؤتمر الذى أثارنى وحفزنى للحضور هو «**أنا ... روح، عقل، عاطفة، جسد**»، وربما أدركت ـ قارئى الكريم ـ أن موضوع المؤتمر هو الذى استثار الخواطر التى تواردت فى ذهنى عن هذا الزائر المريخى، الذى احتار حيرة شديدة فى فهم جاره الإنسان. **ومن وحى عنوان المؤتمر بزغت فكرة تأليف كتاب عن هذه الـ «أنا» الغامضة**، لا ليكون دليلًا للكائنات الفضائية التى قد تزور كوكبنا ـ فالأرجح أنها لا تتقن لغتنا العربية ـ بل **ليكون دليلًا لنا نحن البشر ليعرف كلٌ منا الآخر، وقبل ذلك، ليعرف كل منا نفسه**[1].

***

والمنهج الذى اتبعته فى عرض فصول الكتاب، هو أن أعرض فى بداية كل فصل بعض المفاهيم المتعلقة به وأحللها، وربما أطرح حولها بعض التساؤلات، ثم أعرض المزيد من الأفكار عن طريق **إدارة حوار مع عالِمٍ معاصر ـ التقيت به أو لم ألتقِ ـ عالى التخصص فى هذا المجال.**

تستطيع ـ قارئى الكريم ـ أن تعتبر أن حواراتى مع شخصيات الكتاب **حوارات أكثر من حقيقية!! فقد تمت الفعل بين عقلى وعقولهم أثناء دراستى لكتاباتهم.** فقد كنت كلما قرأت فكرة أُعْمل فيها عقلى مُحَلِّلًا وناقدًا، وكثيرًا ما كنت أجد الكاتب بعدها (أو فى موضع آخر) يجيب عن تساؤلاتى. ألا ترى أن هذه الحوارات ربما كانت «**أكثر حقيقية**» من الكثير من الحوارات التى تدور بين شخصين يلتقيان وجهًا لوجه. وقد اخترت أن أستعين بأسلوب الحوار فى فصول الكتاب لأنه **يسمح ببسط الأفكار بشكل أكبر وأيسر فهمًا، كما يُعين فى تحليل الأفكار واستيعابها وتذكرها.**

---

(١) أعجبنى شعار المؤتمر، فاستأذنت أن أقتبس منه جزءًا عند تصميم غلاف كتابى هذا. والشعار من تصميم الأستاذة منيرة القناعى وبخط الأستاذ جاسم المعراج. وستعرف سر إعجابى بشعار المؤتمر عند مطالعتك للفصل الأول من الكتاب، تحت عنوان: أنا... ذات فنانة متذوقة للجمال.

القارئ الكريم

قد يبدو الكتاب من النظرة الأولى غير متناسق، فهو يحوى **موضوعات شتى**، تتراوح بين البيولوجيا، والفيزياء، والكيمياء، والطب، وعلم النفس، والطب النفسى، والفلسفة، والأنثروبولوجيا (علم الإنسان)، والدين. ولكن **أليست الـ «أنا» على هذا التباين، بل أَشَدْ. إن الخيط الذى ينتظم هذه اللآلئ التى انتقيتها لك هو «الذات الإنسانية»**.

وينقسم الكتاب إلى ثلاثة أبواب، تضم عشرة فصول. الباب الأول هو «**أنا... فى العلوم الطبيعية**»، ويشتمل على خمسة فصول: الأول «**أنا ... ذات عاقلة**»، أتعرض فيه للسمات التى تميز الإنسان ككائن يتفرد بالعقل. والفصل الثانى بعنوان «**الوعى يقهر اللاوعى**» ويركز على كيفية برمجة العقل اللاواعى بأفكار سلبية تتحكم فى مصائرنا، وإمكانية إعادة البرمجة بأفكار إيجابية. والفصل الثالث بعنوان «**لست روبوتًا**» وندحض فيه مفهوم الحتمية البيولوجية الخاطئ، والذى يصورنا ككائنات لا إرادة لها. والفصل الرابع «**قوى الإنسان الخفية**»، وهو فصل شديد الأهمية، إذ يتعرض بالأدلة العلمية لأحد أخطر المجالات المسكوت عنها، وهو مجال طاقات الإنسان الحيوية، مما أدى إلى سوء استغلالها من قِبَل الدجالين وجامعى الثروة. ونتعرض فى الفصل الخامس «**كيف صرتُ بشرًا**» لنشأة الإنسان بآلية التطور الموجه عن أسلاف أدنى منه.

والباب الثانى بعنوان «**أنا... فى العلوم الإنسانية**»، ونتناول فى الفصل السادس منه نظرة العقل الإنسانى للذات الإنسانية، من خلال طرح آراء بعض الفلاسفة الذين تناولوا هذا الموضوع، والفصل بعنوان «**أنا... فى المرآة**». وفى الفصل السابع «**هكذا بَنيتُ الحضارة**» نعرض ملحمة رحلة الإنسان الحضارية، من أطواره البدائية إلى الحضارة المعاصرة. لكن هل حققت الحضارة الحديثة طموحات الإنسان؟ وهل حقق من خلالها ذاته الحقيقية؟ أم أن المسار الحضارى قد انحرف به عن فطرته، وهذا ما سنعرضه فى الفصل الثامن بعنوان «**جعلونى مسخًا مشوهًا**».

بعد هذه الجولة مع نظرة العلوم المختلفة للذات الإنسانية، يأتى أوان الكلمة النهائية التى تنظر إلى الإنسان باعتباره كلًّا واحدًا متكاملًا، ولا يكون ذلك إلا لخالق الإنسان، الذى لا يعلم عنه «الظاهرَ» فحسب، بل يعلم عنه «السرَ وأَخفى»، لذلك جاء الباب الثالث حول «**أنا...فى القرآن الكريم**»، وهو من فصلين: الفصل التاسع بعنوان «**الذات الإنسانية فى القرآن الكريم**»

ونتناول فيه مكونات الذات الإنسانية كما وردت فى القرآن: الجسد ـ القلب ـ العقل ـ النفس ـ الروح. ونختم رحلتنا بالفصل العاشر بعنوان «**أنا.. والموت**» ونطرح فيه مفهوم الموت بالمنظور العلمى والمنظور الدينى، وعلاقة الروح بالموت، والفرق بين الموت والوفاة!.

ونختم الكتاب **بحصاد الرحلة**، الذى نقطف فيه ثمارها.

***

وفى ختام المقدمة، ينبغى أن **أشيد بجهود مجموعة من المثقفين الذين شاركوا فى جمع المادة العلمية لفصول الكتاب وأيضًا فى تبادل وتنقيح بعض أفكاره**. وهؤلاء هم د. محمد عمرو شريف مدرس مساعد الطب النفسى بجامعة عين شمس، واستشارى الأشعة التشخيصية د.أحمد جلال، والمهندس حسام مؤنس، وأحمد عمرو شريف الطالب بكلية الطب، ومنار رأفت معيدة اللغة الإنجليزية، والأطباء والطبيبات بمستشفيات جامعة عين شمس: محمد طبال، آية عبد السلام مجاهد، سلمى المختار، سارة عبد القادر، آية أبو اليسر، ياسمين يسرى. **فلهم منى جميعًا الشكر**.

***